حصاد القمر ... !

[وحي سياحة قريبة فى ليلة من ليالى الحصاد بين حقول القمح ، والنخيل . حيث كان الشاعر ضيف القمر بقرية « أم خنان » الهاجعة فى مروج الجيزة الخضراء]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

سِيَّانِ فى جَفْنِهِ الإِغْفَاءُ وَالسَّهَرُ ... نَامَتْ سَنَا بِلُهُ وَاسْتَيْقَظَ القَمَرُ !

نَعْسَانُ يَحْلُمُ وَالأَضْوَاءُ سَاهِدَةٌ ... قَلْبُ النَّسِيمِ لَهَا وَالْهَانُ يَنْفَطِرُ

مَالَ السَّنَا جَانِياً يُلْقِى بِمَسْمَعِهِ ... هَمْساً مِنَ الوَحْىِ لَا يُدْرَى لَهُ خَبَرُ

وَأَطْرَقَتْ نَخْلَةٌ قَامَتْ بِتَلْعَتِهِ ... كَأَنَّهَا زَاهِدٌ فى اللهِ يَفْتَكِرُ

إِنْ هَبَّ نَسْمٌ بِها، خِيلَتْ ذَوَائِبُهَا ... أَنَامِلاً مُرْعَشَاتٍ هَزَّهَا الكِبَرُ !

كَأَنَّمَا ظِلُّهَا فى الحَقْلِ مُضْطَهَدٌ ... صَمْتُ السَّكِينَةِ عَنْ جَانِيهِ يَعْتَذِرُ

الدَّوْحُ نَشْوَانُ ! فَاخْشَعْ إِنْ مَرَرْتَ بِهِ ... فَضَيْفُهُ البَاطِشَانِ : اللَّيْلُ ، وَالقَدَرُ !

كَأَنَّ أَغْصَانَهُ أَشْبَاحُ قَافِلَةٍ ... غَابَ الرَّفِيقَانِ عَنْهَا : الرَّكْبُ ، وَالسَّفَرُ

مَبْهُورَةٌ شَخَصَتْ فى الجَوِّ ذَاهِلَةً ... كَأَنَّهَا لِحَبِيبٍ غَابَ تَنْتَظِرُ !

أَوْ أَنَّهَا نَسِيَتْ عَهْداً ، وَأَنْعَشَهَا ... شَجْوُ الرِّيَاحِ فَهَاجَتْ قَلْبَهَا الذِّكَرُ

أَوْ أَنَّهَا وَالأَسَى النَّكْبُوتُ فى فِيهَا ... بَنَاتُ وَعْدٍ بِهَا عُشَّاقُهَا غَدَرُوا

عَجْمَاءُ تَنْبِسُ كَالتِّمْثَالِ عَانِيَةً ... وَمِلْءُ أَفْوَاضِهَا التَّهْوِيمُ وَالحَدَرُ

يَا سَاكِبَ النُّورِ لَا يَدْرِى مَنَابِعَهُ ... لَأَنْتَ قَلْبٌ يُشِيعُ الحُبَّ ، لَا قَمَرُ

هَيْمَانُ تَحْمِلُ وَجْدَ اللَّيْلِ أَضْلُعُهُ ... وَاللَّيْلُ تَقْتُلُهُ الأَشْجَانُ وَالفِكَرُ

كَأَنَّهُ زَوْرَقٌ فى الخُلْدِ رِحْلَتُهُ ... تَيَّارُهُ مِنْ ضِفَافِ الخُورِ مُنْحَدِرُ

يَا طَائِراً فى رُبَى الأَفْلَاكِ مُخْتَفِياً ... يَمْشِى عَلَى خَطْوِهِ الإِجْفَالُ وَالحَذَرُ

أَرْخِ اللِّثَامَ ، فَهَا سِرْتَ مُحْتَجِباً ... تَمَّتْ عَلَى نُورِكَ الأَسْدَالُ وَالسُّتَرُ

عَلَامَ ضَنَّكَ بِالأَنْوَارِ فى زَمَنٍ ... إِلَيْكَ يَظْمَأُ فِيهِ الرُّوحُ وَالبَصَرُ !

الأَرْضُ مُظْلِمَةُ الأَسْرَارِ سَاخِرَةٌ ... كَأَنَّهَا شَيْخَةٌ بِالنَّاسِ تَتَّجِرُ !

تَقَبَّلَتْ كُلَّ مَوْلُودٍ بِقَهْقَهَةٍ ... وَقَهْقَهَ اللَّحْدُ لَمَّا جَاءَ يَنْذِرُ !

يَا طَائِفاً لَمْ يَنَمْ سِرٌّ عَلَى كَبِدٍ ... إِلَّا وَحَفَّكَ مِنْ أَحْلَامِهِ أَثَرُ

تَمْشِى الهُوَيْنَا ، كَمَا لَوْ كُنْتَ مُقْتَفِياً ... آثَارَ مَنْ دَنَّسُوا مَغْنَاكَ وَاسْتَتَرُوا

لِيَلَاتُكَ البِيضُ وَالأَيَّامُ تَحْسُدُهَا ... عَرَائِسٌ عَنْ صِبَاهَا انْحَلَّتِ الأُزُرُ

سَمِعْتُ سِحْرَكَ فى الأَضْوَاءِ أُغْنِيَةً ... حَيْرَى تَأَوَّهَ عَنْهَا الرِّيحُ وَالشَّجَرُ !

وَعَيْتُهَا وَنَقَلْتُ السِّرَّ عَنْ فَمِهَا ... لِمَنْ أَبُوحُ بِهِ وَالنَّاسُ قَدْ كَفَرُوا ؟!

آمَنْتُ بِاللهِ ! كُلُّ الكَوْنِ فى خَلَدِى ... هَادٍ إِلَيْهِ .. الحَصَى ، وَالدُّرُّ ، وَالحَجَرُ !

ذَرَفَتْ عُيُونُكَ دَمْعاً لَيْسَ يَعْرِفُهُ ... إِلَّا غَرِيبٌ بِصَدْرِى حَائِرٌ ضَجِرُ

قَلْبٌ ، كَقَلْبِكَ مَجْرُوحٌ ... وَفى دَمِهِ هَالَاتُ نُورٍ إِلَيْهَا يَفْزَعُ البَشَرُ !

إِنَّ العَذَابَ الَّذِى أَضْنَاكَ فى كَبِدِى ... مِنْ نَارِهِ جَذْوَةٌ تَغْلِى وَتَسْتَعِرُ

سَرَى كِلَانَا وَنَبْعُ النُّورِ فى يَدِهِ ... أَنْتَ السَّنَا ! وَأَنَا الإِنْشَادُ وَالوَتَرُ !

وَأَشْرَبَتْنَا اللَّيَالِى السُّودُ أَدْمُعَنَا . وَأَنْتَ سَالٍ وَنَفْسِى غَالَهَا الشَّرَرُ !

كَأَنَّ وَجْهَكَ فى الشُّطْآنِ حِينَ غَدَا ... إِلَيْكَ يُومِئُ مِنْ أَدْوَاحِهَا نَفَرُ ...

مُبَشِّرٌ بِنَبِيٍّ ... ذَاعَ مُؤْتَلِقاً ... عَلَى التَّوَالِمِ مِنْ أَصْوَائِهِ الخَبَرُ !

أَللهُ أَكْبَرُ ! يَا ابْنَ اللَّيْلِ . . يَا كَبِداً ... لَمْ يُضْنِ أَسْرَارَهَا التَّعْوَافُ وَالسَّهَرُ !

بَكَى الحَيَارَى عَلَى الدُّنْيَا مَوَاجِعَهُمْ ... وَصَرَّعَتْهُمْ بَلَايَا الدَّهْرِ وَالغِيَرُ

وَأَنْتَ حَيْرَانُ مُنْذُ المَهْدِ ... لَا وَطَنٌ ... وَلَا رَفِيقٌ ، وَلَا دَرْبٌ ... وَلَا سَفَرُ !